





كلية الآداب

قسم التاريخ

بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس بعنوان:

العثمانيون في السودان وعلاقتهم بدولة الفونج

1517-1821م

إعداد الطالبة:

آمنة عبد العظيم أحمد بابكر

إشراف الدكتور:

عمر عبد الله حميدة

أغسطس 2013م

الإهـــــــــداء

إلى..............

من أحمل اسمه بكلّ فخرٍ

حكمتي .....وعلمي

أدبي ....وحلمي

روح أبي...

إلى ....

طريقي .... المستقيم

طريق........ الهداية

ينبوع الصّبر والتّفاؤل والأمل

كلّ من في الوجود بعد الله ورسوله ..... أمّي الغالية

إلى ....

من شاركوني أفراحي وأتراحي ..صديقاتي وزملائي

إلى ....

العلم الذي لا ينقطع

إلى............

كل نهرٍ نهلت من علمه، ورويت منه ظمئي

وإلي الدكتور عمر عبد الله حميدة

إلى............

كلّ بسمةٍ أنستني نصبي، وبثّت في ذاتي العزيمة والإصرار



في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات ... تتبعثر الأحرف وعبثاً أن يحاول تجميعها في سطور ..
سطوراً كثيرة تمر في الخيال ولا يبقي لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلي جانبنا ..

فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطوتنا الأولي في غمار الحياة وأخص بالشكر الجزيل والعرفان إلي كل من أشعل شمعة في دروب علمنا وإلي من وقفوا علي المنابر وأعطي من حصيلة فكره لينير دربنا إلي الأساتذة الكرام بجامعة الخرطوم بكلية الآداب بقسم التاريخ وأتوجه بالشكر الجزيل إلي:

الدكتور/ عمر عبد الله حميدة

الذي تفضل بأشرافه علي هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير فله منا كل التقدير والاحترام ....



الفهرست

المقدمة:

نجح العثمانيون في تأسيس دولة في ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية في الأناضول في عهد السلطان عثمان الأول (1299–1326م) ونجحوا كذلك في فتح القسطنطينية ثم اتجهوا نحو الغرب إلى أن وصلوا إلى أسوار فيِنا ويمثل الربع الأول من القرن العاشر الهجري / الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي نقطة محورية في تاريخ الدول العثمانية فيما يتعلق بسياستها التوسعية في المنطقة العربية ويعود السبب في ذلك أن هذه الفترة شهدت تغيراً جزريا في إستراتيجية حركة الفتوحات العثمانية التي كانت تتركز بصورة رئيسية في الأراضي الأوروبية.

تعتبر التطورات السياسية والعسكرية والدينية التي بدأت تظهر في المنطقة العربية والأناضول في السنوات الأولى من القرن السادس عشر هى السبب الأساسي في تغيير الفكر التوسعي العثماني لينتقل من القارة الأوروبية إلى بلاد العرب.

يعد السلطان سليم الأول هو صاحب فكرة انتقال حركة الفتوحات إلى المنطقة العربية وإيقاف حركة الفتوحات العثمانية في أوربا في الفترة ما بين (918–926هـــ / 1512–1520م) والسبب الرئيسي لذلك يعود إلى ظهور قوة أوروبية استعمارية تبشيرية في المنطقة. وتتمثل هذه القوة في دولة البرتغال التي أستطاع

أسطولها البحري دخول مياه البحر الأحمر في السنوات الأولى من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. فبدأ السلطان سليم في إعداد الجيش بهدف الزحف نحو المنطقة العربية. وقد كان الهدف الأساسي لهذا الجيش هو التصدي للخطر البرتغالي وإبعاده عن بلاد المسلمين وخاصة الحرمين الشريفين اللذين كانا في تلك الفترة تحت حكم دولة المماليك والتي كانت في الوقت نفسه تسيطر على بلاد الشام ومصر، التي كانت في أسوأ حالات ضعفها، ولعل دخول الأسطول البرتغالي إلى البحر الأحمر دليلا واضحا على ضعفها، وبالإضافة إلى ذلك فإن سياستها القهرية تجاه شعوب المنطقة العربية أدت إلى عدم الرضا عنها وفي ظل هذه الظروف وجد العثمانيون المسرح مهيأ لحركة توسعيه ناجحة. وهذا إلى جانب وجود الصفويين في إيران والخطر الذي كانوا يشكلونه على منطقة الأناضول.

كان العثمانيون يخشون من إنتشار المذهب الشيعى في الأناضول وخطورة إنعكاس ذلك على الثقافة التركية وحدوث تصدع في بنية الدولة. ووفقا لهذا رأى العثمانيون ضرورة التحرك تجاه المنطقة العربية لأن ذلك سوف يحقق لهم مكاسب كثيرة منها : سد الطريق أمام أى توسع صفوى في الأناضول، والوقوف أمام أى توسع إستعمارى أوروبي، والسيطرة على الأراضي التي كانت تمثل أساس الدولة المملوكية وهى مصر وبلاد الشام والحرمين الشريفين، وبذلك تكون الدولة العثمانية قد وطدت نفوذها السياسي في المنطقة العربية بالتحديد مصر التي سوف

تصبح الولاية / الأيالة المركزية للعثمانيين في بلاد العرب. وذلك لأن مصر تتمتع بنفوذ سياسي وموقع استراتيجي بالإضافة إلى ثقلها الإقتصادى، كما أن دخول الحرمين الشريفين تحت إدارة الدولة العثمانية له أثره المعنوي على السلاطين العثمانيين لخدمتهم للحرمين الشريفين ولكونهم الحماة الوحيدين للأراضي المقدسة وهذا بدوره يؤدى إلى زيادة مكانة السلاطين العثمانيين عند المسلمين بصورة عامة.

بعد أن أعد السلطان سليم الأول جيشه بدأ الزحف من إستانبول إلى بلاد الشام وتمكن الجيش من هزيمة المماليك في مرج دابق ودخل العثمانيين مدينة حلب ودمشق وبذلك خضعت بلاد الشام للدولة العثمانية بقيادة سليم الأول، وواصل تقدمه باتجاه مصر التي كانت تمثل مركز دولة المماليك حيث تمكن في عام 922هــ / 1517م، في معركة الريدانية من القضاء على المماليك ودولتهم وبذلك أصبحت مصر أيضا خاضعة للعثمانيين وبذلك آل الحرمين الشريفين للإدارة العثمانية بخضوع مصر.

بعد أن قضى السلطان سليم الأول على الدولة المملوكية واستولى على أراضيها، هربت مجموعة من فلول المماليك جنوبا باتجاه الأجزاء الشمالية من السودان. ونتيجة لذلك أرسل السلطان العثماني فرقة من عساكره لتعقب المماليك ووصلت هذه الفرقة حتى حدود السودان الشمالية وفي هذه المنطقة أسس

العثمانيين بعض القلاع من أجل تحقيق هدفين هما الوقوف في وجه أي محاولة للمماليك لإعادة ترتيب صفوفهم والزحف مرة أخرى نحو القاهرة والهدف الثاني يتمثل في بسط نفوذ الدولة العثمانية على الجنوب من مصر والشمال من السودان مثل مناطق أسوان وابريم وحلفا لتأمين حدودها، والتوغل داخل السودان عبر شواطئ البحر الأحمر وذلك لاهتمامها بسلامة ولاية مصر من جهة، وللحكم في الجزيرة العربية من جهة أخرى. وبدأ هذا التوغل في عام 1517م وتعتبر هذه الفترة من الفترات الهامة في تاريخ وأدى النيل التي امتدت فيها حدود الإمبراطورية العثمانية إلى بلاد النوبة حتى المنطقة الواقعة ما بين الشلال الأول والشلال الثالث وكانت بداية الاحتلال لسواكن في عام 1532م وتم تسميتها بسلجوقية الحبشة، وتقدمت جيوش العثمانيون جنوبا بسبب الضغط من الفونج وحلفائهم وذلك حتى يتم تأمين الإدارة العثمانية في مصر والمحافظة عليها من أى هجمات محتملة من القبائل التي تقطن جنوب مصر.[1] [2]

[1] أنعم محمد كباشي ، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني ، مجلة الدارة الطبعة الرابعة المملكة العربية السعودية ، 1432 هـ
[2] يوسف فضل حسن ، السودان وادي النيل قبل العهد التركي ، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي ، جامعة الخرطوم 2012م

الفصل الأول

الوجود العثماني في سواكن

كانت أرض مدينة سواكن واحدة من أهم الموانئ في البحر الأحمر وتبعد حوالي 60 كيلومتر عن بورتسودان الحالية من ناحية الجنوب[1]، وتقع على نهاية الخليج ويوجد به عدد من الجزر وأقيمت المدينة على واحدة من هذه الجزر وتعتبر مدينة سواكن من أعرق المدن على الساحل[2] وكانت تمثل نقطة تجارية مهمة على البحر الأحمر[3]، واستخدمت سواكن كميناء منذ عصور قديمة وهى مدينة تجارية ثرية[4]، وذلك لأن البحر الأحمر كان يشكل ممرا حيويا للبضائع والسلع القادمة من جنوب آسيا والهند إلى أوروبا وأسواق الدولة العثمانية[5]. وكانت لها علاقات تجارية مع مصر وإثيوبيا والهند والصين والجزيرة العربية وكانت علاقتها اقوي بالجزيرة العربية وذلك لأنها تمثل ميناء لحجاج أفريقيا القادمين إلى مكة[6].

وفي مطلع القرن السادس عشر وصل النفوذ العثماني إلى إفريقيا وشواطئ البحر الأحمر لأسباب مختلفة، من أهمها صد الخط البرتقالي الذي بدأ نشاطه في مياه

---

[1] THE FRONT ERSOF THE OTTOMAN WORLD470 ص

[2] محمد صالح ضرار، تاريخ السودان، البحر الاحمر اقليم البجة، بيروت، 1960م، ص 159

[3] THE OTTOMAN470 المرجع السابق ص

[4] انتصار صغيرون، الاثار العثمانية في السودان، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد العثماني، الخرطوم، 2012م، ص 56

[5] اوغورخان دمير باشا، ترجمة صالح سعدواى، السودان في العهد العثماني من خلال وثائق الارشيف العثماني، استانبول، 2007م، ص 27

[6] انتصار صغيرون، المقال السابق، ص 5

البحر الأحمر وخطورة ذلك على الأراضي المقدسة والبلاد الإسلامية والمطلة على البحر الأحمر[1]. وبدأ البرتغاليين بالسيطرة على مداخل البصرة والبحر الأحمر ومثل هذا الأمر ضربة سياسية واقتصادية للعثمانيين الذين يسيطرون على أراضي البصرة وبغداد[2]. وتهديداً صريحاً على الأراضي المقدسة فرأت الدولة العثمانية أنه لا يوجد خيار أمامها سوى التدخل ومواجهة البرتغاليين، حيث سيطر المماليك على سواكن ولكن لعدم قدرتهم على صد هذا الخطر الاستعماري استغاثوا بالعثمانيين لمساعدتهم في صد هذا الخطر.

فتضاعفت المسؤولية على العثمانيين تجاه العالم الإسلامي لأنها القوة الإسلامية الوحيدة القادرة، وبناء على ذلك قررت الدولة العثمانية البدء في مواجهة البرتغاليين لصد خطرهم على البحر الأحمر لحماية مصر التي كانت تمثل مركزاً مهما للعثمانيين وحماية الأراضي الإسلامية الواقعة أمام هذا الخطر[3].

وفي خضم هذه المسؤوليات التي وقعت على عاتق العثمانيين تأكد لهم ضرورة ضم ميناء سواكن لموقعه الإستراتيجي والاقتصادي والعسكري[4]. وبعد الاستيلاء على سواكن، ودخولها تحت الإدارة العثمانية أصبحت تشكل مرتكزاً قوياً في أيدي العثمانيين، ونقطة بداية لحملة الحبشة التي خططوا لها في المستقبل.

---

[1] انعم محمد كباشي، تاسيس لواء سواكن في العهد العثماني، مجلة الدارة ط4، المملكة العربية السعودية، 1433هـ، ص 198

[2] اوغرخان دمير باشا ، المرجع السابق، ص 11

[3] انعم محمد كباشي، المجلة السابقة، ص 198

[4] يوسف فضل حسن، سودان وادى النيل قبل العهد التركى، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم، 2012م، ص 20

وفي عام 1527م تم وضع نظام إداري لسواكن بحيث تصبح المدينة مركزاً لسنجق يكون تابعاً لمصر[1]، ولم يقتصر المركز على سواكن فقط بل شمل المناطق التي تحيط بها والمناطق القريبة من الساحل ويعد هذا الأمر طبيعياً لأن الدولة العثمانية كانت تهدف إلى تأمين مدينة سواكن من حدوث أي اضطرابات تأتي من الخارج، وكانت الدولة العثمانية تحتاج إلى أن تبسط سيطرتها على المناطق المحيطة بها، وذلك لصد الخطر البرتغالي الذي جعل العثمانيون يسيطرون على هذه المدينة[2].

وكي توطد الدولة العثمانية نفوذها في سواكن تبنت مشروع القائد أزدمير باشا الذي توجه به إلى إستانبول وعرضه على السلطان وهو مشروع إقامة أيالة الحبشة بعد ما قدم ما لديه من معلوماذت ووافق السلطان عليه وعقب هذا اللقاء أعطى لازدمير باشا بكلربكية الحبشة[3]، وتم تأسيس أيالة الحبشة بسواكن مستقلة عن مصر في عام 962هـ / 1555م، وأصبحت سواكن مركز لهذه الأيالة، وبتأسيس هذه الأيالة في سواكن وضحت لنا الأهمية التي أولاها العثمانيون لهذه المنطقة[4].

[1] اوغرخان دمير باشا، مرجع سابق، ص 17

[2] انعم محمد كباشي، المجلة السابقة، ص 200

[3] طارق محمد نور، ايلة الحبشة، تاسيس الحكم العثماني في السودان، الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم، 2012م، ص 3.

[4] انعم محمد كباشي، المجلة السابقة، ص 203

وعندما وصل أزدمير باشا إلى سواكن شهدت المدينة تطوراً إداريا مهما، وقد تمثل هذا التطور في أن أصبحت سواكن مركزاً للأيالة الجديدة وعاصمة لها، وكان أزدمير باشا يسعى جاهدا لوضع أسس بناء الأيالة على أسس سليمة[1]. وعمل على تحقيق العدالة، لأن مسألة العدالة تحقيقها بالغ الأهمية عند العثمانيين. وبذلك إنتقلت سواكن من كونها مجرد لواء إلى مركز الأيالة بكاملها وهذا الأمر أدى إلى إحداث نقلة نوعية في لواء سواكن، وأصبحت تعرف بلواء الباشا وذلك لأن العثمانيين كانوا يطلقون هذا الاسم على اللواء الذي كان يقيم فيه أمير أمراء الأيالة. وبما أن أزدمير باشا كان يقيم في سواكن فإن هذا اللواء يعتبر هو لواء الباشا[2].

وعند وفاة أزدمير باشا حدثت فوضى في أواسط الجيش، فرأت الدولة العثمانية أن من الأفضل لها التدخل في هذا الموقف سريعا وتعيين ممن هم موجودين فوقع الاختيار على عثمان بن أزدمير باشا، وكان السبب في هذا التعين أن لا تظل الأيالة لفترة طويلة دون وجود والى عليها. فبعد تعيين عثمان باشا حاول السير على نهج والده في إدارة الأيالة وتوسيع أراضيها على حساب أراضي الحبشة[3].

[1] اوغورخان دمير باشا، المرجع السابق، ص 17
[2] انعم محمد كباشي، المجلة السابقة، ص 204
[3] طارق محمد نور، المقال السابق، ص 5-6

وتعد أيالة الحبشة من أهم الأيالآت الإستراتيجية للعثمانيين على نطاق جميع الأراضي العثمانية وذلك لأنها تضم بالإضافة إلى سواكن كلا من جده ومصوع وهي جميعها موانئ تقع على ساحل البحر الأحمر الذي كان يمثل أهميه قصوى للدولة العثمانية لأن دخل الأيالة يعتمد بالدرجة الأولى على موارد هذه الموانئ من الجمارك لذا فإن حدوث أي عائق في طريق التجارة يسبب مشاكل اقتصادية في كثير من الأحيان[1]. في مطلع القرن الثامن عشر أجريت بعض التغيرات على النظام الإداري في الأيالة وأصبحت تمنح للولاة مع سنجق جده وعلى هذا النحو أصبحت الأيالة مسؤولة عن تنظيم كل أمور قوافل الحج الذاهبة إلى أراضي الحجاز مما زاد من قيمتها في أن تكون الأراضي المقدسة تابعة لأيالة الحبشة.

ومع مرور الزمن بدأت أيالة الحبشة تفقد أهميتها وأصبح الولاة لا يذهبون إليها ويقوموا بتعيين نواباً عنهم. وبذالك لم تعد أيالة الحبشة تحظى بأهمية كبيرة لكنها ظلت موجودة اسميا وذالك بسبب تدهور مواردها لسيطرة الإنجليز على البحر الأحمر وجعل التجارة فيه عالمية والتي كان يسيطر عليها العثمانيون وأصبحت سفن التجارة الأوروبية تتحرك بحرية وتقوم بكافة أعمال النقل بين موانئ الحبشة وميناء جده وبذلك بدأ البحر الأحمر في الخروج من كونه بحراً مغلقاً، وأصبح مجرى مفتوحا لكافة السفن من كافة الجنسيات، مما أدى لدخولها

[1] أنعم محمد كباشي ، المجلة السابقة ، ص 209

في فترة ركود طويلة، مما أدي إلي أن يصبح ميناء مصوع من أهم موانئ البحر الأحمر. وفي النصف من القرن الثامن عشر تراجعت مصوع كثيرا، وتضررت مثل غيرها من مواني البحر الأحمر نتيجة للتغير الذي طرا على تجارة المنطقة بوجه عام[1].

إن أيالة الحبشة منذ تأسيسها في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، لعبت أدوارا مختلفة، إدارية وسياسة واقتصادية، وتجسدت فيها الإدارة العثمانية، واستطاع ولاتها من بسط سيطرتهم على كثير من الأراضي التي كانت تتبع لملك الحبشة، واستطاعت هذه الولاية من تأكيد استقرار البحر الأحمر وحركة الملاحة وللتجارة فيه وأمنته لأهل إفريقيا من المسلمين الذاهبين الي الحج وفتحت أمامهم آفاق للتجارة والتواصل مع العالم، ومكنت الدولة العثمانية من التواصل مع مسلمين القارة الإفريقية عبر الأحلاف والمساعدات، ووجد العثمانيون رواجا في إفريقيا ووجدوا القبول.

ومنذ أن دخلت هذه الأيالة تحت النفوذ العثماني ظلت تخضع للإدارة التركية حتى أوائل القرن التاسع عشر[2] حتى أصبحت هدفا للأطماع الغربية وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وايطاليا، الأمر الذي جعلها تذهب فريسة لتلك القوى

---

[1] أوغرخان دمير باشا ، المرجع السابق، ص 48 - 51

[2] يوسف فضل حسن، المرجع السابق، ص 22

الاستعمارية، رغم محاولات الدولة العثمانية الدفاع عنها إلا أن ذلك لم يجدي نفعا لان الضعف بدأ يدب في الدولة العثمانية[1].

[1] طارق محمد نور، المرجع السابق، ص 13

الفصل الثاني

الوجود العثماني في شمال السودان

تعتبر الفترة الواقعة ما بين (1517 – 1821م) من الفترات المهمة في تاريخ وادى النيل الأوسط في الوقت الذي امتدت فيه حدود الإمبراطورية العثمانية ووصلت إلى بلاد النوبة بين الشلال الأول والشلال الثالث[1] بعد ما نجح العثمانيين في دخول مصر وجعلها إقطاعية تابعة للإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت توقفت سيطرتهم على وادى النيل في مدينة أسيوط[2] ففرت مجموعة من المماليك جنوبا باتجاه الحدود الشمالية للسودان فكان لابد للعثمانيين من تغيير سياستهم تجاه حدودهم من الجنوب لاحتواء المماليك فقرر السلطان سليم الأول ملاحقة هؤلاء الهاربين من المماليك بإرسال فرقة عسكرية عثمانية من اجل القضاء على المماليك وإدخال تلك المناطق الجنوبية تحت الدولة العثمانية[3] وتحركت هذه الفرقة حتى وصلت منطقة قلعة ابريم وأقاموا فيها برج مراقبة في عام 1550م وذلك لوصول النفوذ الفونجى حتى منطقة الشلال الأول والشلال الثاني[4] وفي عام 1555م صدرت الأوامر من الحكومة العثمانية إلى ازدمير باشا بالتوجه نحو شمال السودان لإخضاع تلك المناطق. فتحرك ازدمير باشا نحو السودان وسلك

---

[1] جون الكستدر، الحاميات العسكرية المنسية في وادى النيل، جامعة كمبردج ،مركز ابحاث العلاقات الفريقية والآسيوية، د ت، ص 1

[2] على عثمان محمد صالح، رحلة ايلياء شلبى لمنطقة المحس (1670 – 1671م) جامعة الخرطوم، مقال، ص 3

[3] انعم محمد عثمان كباشي، السياسة العثمانية تجاه شمال السودان في القرن السادس عشر، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم، 2012م، ص 2

[4] انتصار صغيرون الزين، الاثار العثمانية في السودان، مجلة ادوماتوا، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 91

طريق النهر مكونا أسطولا عبر النهر للتوجه جنوبا باتجاه السودان وطريق البر عبر الصحراء وسلكه الفرسان. ووصلت هذه القوة إلى شلالة في ولاية الصعيد وأدخلتها تحت الطاعة العثمانية وغيرها من المناطق، إلا أن هذه القوة لم تتمكن من المواصلة جنوبا لان هذه الحملة تمت في فصل الصيف ولارتفاع درجة الحرارة اضطر ازدمير باشا للعودة إلى الأراضي المصرية وبذلك نرى أن العوامل الجغرافية لعبت دورا كبيرا في ان لا يحقق ازدمير باشا نجاحا. ولان مسألة تامين الحدود الجنوبية للدولة العثمانية وحماية مصر كانت أهم من التوغل داخل الأراضي السودانية. إهتم العثمانيون كثيرا بمسالة إنشاء القلاع في شمال السودان بهدف تامين حدودهم الجنوبية[1] وذلك لان توغل الفونج في المنطقة المحصورة ما بين الشلال الأول والشلال الثالث اعتبر بمثابة تهديدا لمصر، مما دفع العثمانيين بتوسيع حدودهم حتى الشلال الثاني وذلك خلال الستينات من القرن السادس عشر الميلادي، وبذلك أصبحت الحدود الجديدة للعثمانيين من بطن الحجر حتى قلعة ابريم[2]. التي تقع على جبل صخري معزول يرتفع 70م على الشاطئ الشرقي للنيل وتقع جنوب أسوان، ولهذه القلعة تاريخ قديم يبدأ بعهد البطالمة، ومحصنة بحائطين من أجل الإحاطة بسطح الجبل. فلما وصلها العثمانيين قاموا بإنشاء ممر رئيسى لجلب المياه من الناحية الشرقية، بعد صيانتها وأصبحت قاعدة

[1] انعم محمد كباشي، المقال السابق، ص 3 -5
[2] جون الكسندر، المرجع السابق، ص 2

حدودية مهمة متقدمة من عام 1560 – 1583م حيث تكونت فيها سنجوقية قصر ابريم، وكان لهذه القلعة اهميتها الإستراتيجية كحامية لمصر، وقاعدة لسواكن وسلجوقية الحبشة[1] وتشكل حدود دفاعية لمصر، وكان قصر ابريم يشكل الموضع الدفاعي الرئيسي وتم تحصينه وكان يضم بصورة دائمة قوات عسكرية[2] وبقيت ابريم حدود جنوبية للإمبراطورية العثمانية ويبدو ان توغل العثمانيين جنوبا حتى ابريم دفع سلطنة الفونج للتحرك شمالا حتى الشلال الثالث، لإحتلال تلك المنطقة الإستراتيجية والدفاع عن أراضي الجنوب[3].

في عام 1582م إلى 1583م حدث تغير مهم في سياسة التوسع الحدودي في عهد السلطان سليم الثاني حيث اتبع سياسة التقدم التي كانت تهدف إلى غزو سلطان الفونج، حيث تحركت قوة كبيرة إلى منطقة الشلال الثالث[4] والتقى الجيش العثماني وجيش الفونج في معركة عنيفة على الحدود الجنوبية بمنطقة المحس في قرية حنك، وانتصر الجيش العثماني وقتل مك المحس وضم إقليم المحس إلى الإمبراطورية العثمانية وأنشأ سنجق المحس[5] في عام 1584م ليصبح السنجق الثالث إلا أن الأمر لم يستقر بالعثمانيين، حيث تم إلغاء ايلات ابريم، ثم أعيد تشكيلها مرة أخرى على أن تكون حدودها الجنوبية في منطقة المحس لتدار من

[1] انتصار صغيرون، المجلة السابقة، 91-93
[2] جون الكسندر، المرجع السابق، ص 3
[3] على عثمان محمد، المقال السابق، ص 4
[4] جون الكسندر، المرجع السابق، ص 4
[5] على عثمان محمد، المقال السابق، ص 4

قلعة صاي[1] التي تقع في جزيرة صاي شمال الشلال الثالث. وهى واحدة من اكبر جزر النيل، عرفت صاى منذ الألفية الأولى، وعند وصول العثمانيين كانت على الجزيرة قلعة ضخمة تعود للفترة المسيحية المتاخرة[2] وأصبحت صاى هى مركز للعثمانيين منذ عام 1583م حتى سنة 1660م وتمثل صاى أهمية في موقعها لقربها من حدود الفونج الشمالية ونقطة الانطلاق الرئيسية لصد أي هجمات من سلطنة الفونج[3].

ونجد أن للعثمانيين وجود في مناطق أخرى في شمال السودان منها منطقة جبل سيسى وهو أقصى نقطة وصلها العثمانيون جنوبا وكان الزعيم المحلى هو مك المحس. وفي منطقة كادموسي وهى منطقة محصنة تقع في الضفة الشرقية للنيل شمال الشلال ولديها حامية عثمانية مما أعطى فكرة بأنها مدينة عسكرية عثمانية. وفي جزيرة اردوان وهى جزيرة موسومية ضخمة وتحتوى على كثير من الحاميات وهى منطقة تجارية ونقطة مشتركة ما بين الفونج والعثمانيين[4].

ومن خلال ما سبق نجد ان الحدود العثمانية قد انتقلت في أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر بين الشلال الأول والشلال الثالث، إلا أن الحاميات بقيت في مكانها ودفعت رواتب جنودها حتى 1796م[5] ذلك لان العثمانيين لم

[1] على عثمان محمد صالح، العمل الشعبي الطوعى في السودان، ط1 السودان الخرطوم دار سداد للطباعة، 2007م، ص 38
[2] انتصار صغيرون، المجلة السابقة، 94
[3] The front ERSof the ottoman WORLD
[4] The front ERSof the ottoman WORLD
[5] جون الكسندر، المرجع السابق، ص 11

يتمكنوا من التعامل الإداري مع منطقة شمال السودان كتعاملهم مع المناطق الأخرى التي سيطروا عليها، ففي هذه المناطق كانت الوحدات الإدارية التي تدير المنطقة بالطريقة التي كانت موجودة قبل العثمانيين وهى التنظيمات ذات البعد المحلى غير المرتبطة بصلة مركزية عن طريق المشيخة والنظام الذي اتبعته الدولة العثمانية في هذه الوحدات هو الإشراف التام على المسائل الإدارية وعدم التدخل الكبير منهم[1] وبعد ضعف القبضة العثمانية على شمال السودان في نهاية القرن الثامن عشر، رجع الحكم إلى أهلها واستمرت تلك المشيخات حتى الغزو التركي المصري 1821م[2].

---

[1] انعم محمد كباشي، المقال السابق، ص 9 -10

[2] على عثمان محمد، المقال السابق، ص 39

الفصل الثالث

علاقة الفونج بالدولة العثمانية

تزامن الاحتلال العثماني على النوبة باتساع سلطنة الفونج التي تقع في الأراضي النوبية ما بين النيلين الأزرق والأبيض وحدودها من الشرق البجة ومن الغرب النوبة ومن الجنوب إثيوبيا وحدود مصر من الشمال التي جعلت ذلك الإقليم أراضي تابعة للفونج، وأهم مدينة في هذا الإقليم هي مدينة سنار وهي مدينة كبيرة تقع علي ضفة النيل وكانت عاصمة الفونج[1] ويصفها أوليا بأنها مدينة عظيمة وقديمة في الضفة الغربية للنيل في السودان. وهي معمورة كونها العاصمة وأورد أوليا بعض الأسماء التي كانت يسمى بها أهل سنار فمنها أسماء عربية إسلامية وبعضها مسيحية وأخرى محلية مستمدة من لغات القبائل الإفريقية ودل هذا علي التمازج والانصهار والتعدد ألاثني والعرقي والديني في دولة الفونج. فمملكة الفونج سكنها العديد من الأقوام والأجناس مختلفي الديانات مما يؤكد انفتاح سنار علي مناطق العالم وقتها ولعل لنشاطها التجاري دور في ذلك. ولكن بالرغم من ذلك التمازج فان الدين الإسلامي هو دين الدولة السنارية ولا تكاد مدينة أو قلعة أو قرية زارها أوليا على طول حدود دولة الفونج تخلو من جامع أو مدرسة لتعليم الصبيان أو منار لولى أو شيخ وأهل دولة الفونج مختلفي المذاهب.

---

[1] A.C.S.Peaock, The Ottomans and the Funj Sultanate in the sixteenth and seventeenth centuries, in school of oriental African studies , volume 75-1 , 2012 P- 7

وصف أوليا تجارة دولة سنار وعدد أبرز منتجاتها وصادراتها فما يجلبه تجار سنار يتمثل في الإبل والغنم والعجول والجاموس وسن الفيل وقرن وحيد القرن وخشب الساج الفونجي والأبنوس والسنط والتعامل يتم عن طريق المقايضة فهم يبيعون ويشترون بلا مال يدفع ثمناً للسلعة ورغم ان الذهب عندهم كثير لكنهم لا يصهرونه كصكوك لأنهم لا يعرفوها. إلا أن تطور الفونج الاقتصادي الذي شهدته دولة الفونج لاحقاً جعل من إستعمال العملة واقعاً حتمياً في أجزاء دولة الفونج فالعملة المنتشرة هي المقايضة، أما العبيد والجمال فتشتري بالريالات[1] . وصدر الفونج الذهب والعبيد عبر أراضي الدولة العثمانية إلى كل من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي.

أول تأثير أو فرض سلطة علي الفونج من العثمانيين كان سببه تقرير 1525م الذي قرر زيادة الضريبة علي البضائع القادمة من الفونج من قبل العثمانيين وإلى سلمان إبراهيم باشا القائد البحري الذي أنزر العثمانيين بوجود مصادر عسكرية في جدة، ووصف أيضاً حالة الإقليم السياسية بأنها مهدده بالبرتغاليين، فتدخل العثمانيون لصد هذه القوة واستولوا على سواكن ووصل نفوذهم الى بلاد المحس وجاوروا الفونج من جهة الشمال[2] مما جعل عمارة دنقس مؤسس دولة الفونج ينزعج من هذه القوة ورأي في ذلك تهديد لمملكته فأرسل

[1] عمر عبد الله حميدة، رؤية عثمانية لبلاد النوبة ودولة الفونج، دراسة نقدية مقارنة لرحلة أوليا للسودان، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد العثماني، جامعة الخرطوم، 2012م، ص 8 ، 9 ، 10

[2] أحمد حسن، الدلالات الاثارية للامتداد السياسي والديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع والثاني، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2004م، ص 52.

رسالة للسلطان سليم بأنه إذا كان يفكر بمحاربته بأن يعرف أنه وشعبه عرب مسلمين حقيقيين وتأكيداً على ذلك قام بإرسال أشجار النسب التي وضعها الفقيه السمرقندي الذي كان مسؤولاً عن كل الأنساب في السودان لتثبت أن الفونج ينتمون إلى بني امية[1].

أدى إتساع سلطنة الفونج إلى تغيير مهم في سياسة التوسع الحدودي لدي سليم الثاني في عام 1582- 1583م وهي سياسة التقدم إلى الأمام التي كانت تهدف إلى غزو سلنطة الفونج ووجد العثمانيون فرصتهم لغزو الفونج عندما بدأوا في توسيع حدودهم علي حساب العثمانيين في المنطقة الواقعة ما بين الشلال الأول والشلال الثالث فقام العثمانيون بإرسال قوة كبيرة وتمكنوا من دحر الفونج، وقتلوا الحاكم المحلي في معركة عنيفة في منطقة حنك[2]. وأجبروهم علي التراجع ورسمت الحدود جنوب حنك مما أوقف محاولات الفونج التوسعية نحو الشمال وأصبحت حنك الحد الفاصل وظلت أرض المحس خارجه عن نفوز الفونج[3].

وعلى الرغم من الحذر والخوف الذي سيطر على سلطان الفونج من القوة العثمانية في الشمال وإضافة إلى الهزيمة القاسية التي مني بها في حنك إلا أنه كان يوجد بينهم تواصل ثقافي واقتصادي فقد تم إرسال العديد من العلماء العثمانيون إلى السودان وقام العديد من طلاب الفونج بالسفر إلى مصر والحجاز والعراق

[1] نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، القاهرة، 1967م، ص 224.
[2] جون الكسندر، الحاميات العسكرية المنسية في وادي النيل، جامعة كامبردج، مركز الأبحاث الافريقية الأسيوية، د ت، ص 4.
[3] أحمد حسن، الرسالة السابقة، ص 53.

وإسطنبول لتحصيل العلوم من مدارسها ثم عادوا إلى بلادهم وأقام السلطان بديع بن عبد القادر روابط وثيقة مع المدارس المصرية واستفاد قدر الإمكان من المدرسين العثمانيون المقيمين هناك وتحولت سنار إلى مركز علمي واستمرت هذه المسيرة حتي أصبح الدين الإسلامي هو الدين السائد في البلاد[1].

---

[1] أوغور خان دمير باشا، ترجمة صالح سعداوي، السودان في العهد العثماني من خلال وثائق الارشيف العثماني، اسطنبول، 2007م ، ص 27.

الخاتمة:

من خلال ما سبق نجد أن العثمانيين لم تكن لهم اهتمامات في السيطرة على السودان كباقي الدول التي دخلت تحت سيطرتهام مثل الشام ومصر وذلك لأهمية هذه المناطق آما السودان فلم تمثل نقطة اهتمام ودليل على ذلك عدم وجود ذكرها كثيرا في تاريخهم إلا بعد دخول محمد على باشا. ولكن اضطروا للدخول إليها من ناحية الشرق وذلك لأنه يمثل نقطة تجارية مهمة لأنه يطل على البحر الأحمر ولدحر قوة البرتغال. ومن ناحية الشمال وبعد دخولهم مصر وقضائهم على المماليك في موقعة الريدانية فرت فلول من المماليك ناحية جنوب مصر وشمال السودان مما أزعج هذا الأمر سليم الأول فأراد أن يحمى حدوده الجنوبية لمصر ولخوفه من ان تقوى شوكة المماليك مرة أخرى قام بإرسال حامية للقضاء عليهم وضم تلك المناطق الواقعة ما بين الشلال الأول والشلال الثاني. فاما علاقتهم بالفونج كانت علاقة ثقافية واقتصادية وحربية فقامت هنالك معارك بين العثمانيين والفونج في الحدود الشمالية والشرقية في سواكن مما جعل العثمانيون يفكرون في ضم الفونج.

المراجع العربية :

1- إنتصار صغيرون، الآثار العثمانية في السودان، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم 2012م.

2- إنتصار صغيرون، الآثار العثمانية في السودان، مجلة أدوماتوا، المملكة العربية السعودية 2003م.

3- أنعم محمد كباشي، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني، مجلة الدارة ط4، المملكة العربية السعودية 1433هـ.

4- أنعم محمد كباشي، السياسة العثمانية تجاه شمال السودان في القرن السادس عشر، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم 2012م.

5- أوغورخان دمير باشا، ترجمة صالح سعداوي، السودان في العهد العثماني من خلال وثائق الإرشيف العثماني، إستانبول، 2007م.

6- جون الكسندر، الحاميات العسكرية المنسية في وادي النيل، جامعة كمبردج، مركز الأبحاث الأفريقية الآسيوية، د ت.

7- طارق محمد نور، أيالة الحبشة، تأسيس الحكم العثماني في السودان، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم، 2012م.

8- عمر عبد الله حميدة، رؤية عثمانية لبلاد النوبة ودولة الفونج ودراسة نقدية مقارنة لرحيل أوليا للسودان، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم / 2012م.

9- على عثمان محمد صالح، رحلة أيلياء شلبي لمنطقة المحس (1670-1671)م جامعة الخرطوم، مقال.

10- على عثمان محمد صالح، العمل الشعبي الطوعي في السودان لمصر، السودان الخرطوم دار سداد للطباعة، 2007م.

11- محمد صالح ضرار، تاريخ السودان البحر الأحمر إقليم البجة، بيروت 1960م.

12- نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، القاهرة، 1967م.

13- يوسف فضل حسن، سودان وادي النيل قبل العهد التركي، مقال مقدم في الندوة الدولية حول السودان في العهد التركي، جامعة الخرطوم، 2012م

المراجع المترجمة:

1- THE FRONT ERSOF OTTOMAN WORLD 1.

2- THE FRONT ERSOF OTTOMAN WORLD 2.

3- THE OTTOMANS AND THE FUNJ SULTANATE IN THE SIXTEENTH AND SEVENTEENTH CENTURIES.

الرسائل :

1- أحمد حسن، الدلالات الآثارية، للإمتداد السياسي والديني لدولة الفونج ما بين الشلالين الرابع والثالث، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2004م.